دور المرأة السياسي في العصر العباسي الثاني

الدكتورة مليحة رحمةالله
قسم التاريخ

كانت منزلة المرأة فى العصور العباسية بصورة عامة تختلف عن منزلتها في العصور التى سبقتها والتى تميزت بصبغتها العربية الاصيلة ، وبتمسكها بالشريعة الاسلامية . ففى العصور العباسية تزايد الاختلاط بالعناصر الاجنبية وتوغلت الثقافات الفارسية والتركية وغيرها فى الثقافة العربية الاسلامية فافضى ذلك الى تغيير جذري في عادات المجتمع وتقاليده وبخاصة فى المجتمع النسائى .

واذا كانت التغييرات الثقافية التى حلت بالمجتمع العباسى فى هذه العصور قد كان من شأنها أن تغدو بغداد عاصمة العالم كله ثقافيا دون ان تقتصر على العالم الاسلامى وحده فان التغييرات الاجتماعية كانت على خلاف ذلك وبخاصة بالنسبة للمرأة حيث نجد ان مستواها اصبح يغاير المستوى الذى كانت عليه فى السابق ومرد ذلك الى تكاثر الجوارى والتسرى بهن ، فاختلطت دماؤهم بدماء العرب وكثر نسلهم على مختلف المستويات بما فى ذلك الطبقة الارستقراطية والطبقة العامة[١] . ويؤكد تكاثرهن التوحيدى بقوله « واحصينا فى بغداد جانب الكرخ ، ستين وثلثمائة جارية مغنية »[٢] واصبحت لهن اسواق وعملاء وتجار يهتمون ببيعهن وشرائهن[٣] ، كما اصبحت الجارية تهدى كما تهدى السلع الاخرى خاصة بين افراد الطبقة

(١) جرجى زيدان حـ ٤ ص ١٥٣ .
(٢) الامتاع والمؤآنسة حـ ٢ ص ١٨٣ .
(٣) الاغانى جـ ١٠ ص ٩٥ .

الارستقراطية [٤] فيذكر المؤرخ التنوخي[٥] « ان الزوجة نفسها اصبحت تهدى زوجها جارية فلا يهمها ذلك ، بعد ان كان الرجل يمنع في الجاهلية وصدر الاسلام من الحصول عليها فذهبت الغيرة من قلوب الرجال والنساء فأدى ذلك الى انخفاض مستوى المرأة العباسية تدريجيا وبلغت في القرن الرابع الهجري درجة من الانخفاض حيث يقول الخوارزمي[٦] في رسالته المشهورة التي وجهها الى الرئيس بهراه في التعزية بابنته والتي يعبر فيها عن روح عصره قائلا « ولو لا ما ذكرته من سترها ، ووقفت عليه من غرائب أمرها ، لكنت الى التهنئة أقرب من التعزية ، فان ستر العورات من الحسنات ، ودفن البنات من المكرمات ونحن في زمان اذا قدم احدنا فيه الحرمة ، فقد استكمل النعمة ، واذا زفت كريمة الى القبر فقد بلغ امنيته من الصهر » واضاف الخوارزمي الى ذلك اقوال بعض الشعراء فذكر قول الشاعر :

تهوى حياتي واهوى موتها شغفا

والموت اكرم نزال على الحرم[٧]

هناك فرق شاسع ما بين نساء الطبقة العامة وهم الاكثرية والطبقة الارستقراطية المتمثلة في نساء الخلفاء وحاشيتهم وهم الاقلية من حيث التمتع بالحرية خاصة في فترة الانحلال السياسي خلال العصور العباسية بصورة عامة وسنقتصر في بحثنا هذا على الحرية السياسية للمرأة في العصر العباسي الثاني حيث شملت عددا محدودا من نساء الخلفاء وقهرماناتهن مبتدئين بالسيدة أم المقتدر .

السيدة أم المقتدر :

جارية من جوارى بغداد الشهيرات ، اشتراها الخليفة احمد بن

---

(٤) زيدان حـ ٤ ص ٧٩ .
(٥) الفرج بعد الشدة حـ ٢ ص ١٨٣ .
(٦) فيليب متى ـ تاريخ العرب مطول ص ٤١١ .
(٧) محمد جميل بهيم ـ المرأة في حضارة العرب ص ٢٠٢ .

المتوكل الملقب « بالمعتضد بالله » ولدت له ابنا سماه جعفرا الذى لقب بالمقتدر عند توليه الخلافة سنة (٢٩٥) وهو صغير السن ابن ثلاث عشرة سنة[٨] . قيل لم يلِ الخلافة العباسية قبله ولا بعده من كان أصغر منه سنا . اطلق الخليفة المعتضد عليها اسم شغب ثم عرفت بعدئذ بلقب السيدة كما ورد فى كتب التاريخ عند ذكر الحوادث السياسية بصورة خاصة .

تسلم المقتدر الخلافة بعد وفاة المكتفى بالله ، ولكونه صغير السن ضعيف الارادة ظهرت شخصية السيدة أمه على المسرح السياسى بمظهر صاحبة النفوذ والسلطة والقوة ، فاخذت تتدخل فى شئون الدولة كبيرها وصغيرها ومسكت بزمام الامور بالتعاون مع قهرماناتها وجواريها . هذا ووصف المؤرخ الفخري دولة المقتدر[٩] بكونها « دولة تدور أمورها على تدبير النساء والخدم . » . كما كانت السيدة تحاول أن تتدخل فى تثقيف ابنها والامراء بمنعهم من الاطلاع على بعض الكتب العلمية التثقيفية فيسرد المؤرخ الصولى[١٠] قصة حدثت له اثناء تدريسه احد الامراء من اولاد المقتدر فيقول « جاء خدم من خدم السيدة فأخذوا جميع ما بين يديه من الكتب فجعلوه فى منديل ديبقى كان معهم وما كلمونا بشىء ومضوا فرأيته قد وجم لذلك واغتاظ فسكت عنه وقلت له ليس ينبغى ان ينكر الامير هذا فانه يقال لهم ان الامير ينظر فى كتب لا ينبغي ان ينظر فى مثلها ، فارجوا ان يمتحنحوا ذلك .. الخ ..» .

هذه القصة وغيرها من الافعال تدل على عدم اهتمام السيدة بتربية ابنها والامراء تربية علمية تربوية صحيحة فيقول المؤرخ « ان النساء اللواتى غدون أصحاب الحل والعقد لم يأبهن ان يكون الامير أو ولى العهد متعلما

---

(٨) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص ١٥٢ .
(٩) الآداب السلطانية ـ ص ١٩٣ .
(١٠) الاوراق ـ ص ٢٦ .

أو مثقفا وأنما يردنه ضعيفا غير ملم بشئون الدولة . »[١١] لتكون سياسة الدولة بايديهن وتحت تصرفهن كما يذكر المؤرخون جميعاً ان السيدة كانت تساهم في تعيين وعزل كبار رجالات الدولة من وزراء وكتاب وقواد بلغ بها التدخل حتى شمل القضاء ايضا . ففي سنة (٣٠٦) أمرت السيدة قهرماتتها « ثمل » أن تجلس بالرصافة بالتربة التى بنتها للمظالم وتنظر فى رقاع الناس فى كل جمعة فجلست واحضرت القاضى ابا الحسن ابن الاشنانى وخرجت التوقيعات على السداد[١٢] . كما حضر مجلس القضاة والفقهاء والاعيان وتبرز التواقيع وعليها خطها[١٣] .

هذا ذكر انها كانت تأمر القضاة باتخاذ اجراءات حتى لو كانت مخالفة للشريعة على نحو ما فعلت مع القاضى امين بهلول[١٤] . وبالرغم من طيلة فترة حكم المقتدر التى قاربت الثلاثين سنة والتى تميزت بشيء من الاستقرار النسبى فى بعض الفترات فان عصره لا يخلو من حدوث اضطرابات وهزات سياسية أودت بالمجتمع وبالخلافة معا الى الانحلال والتدهور والسقوط وكان للسيدة نصيب كبير فى ذلك مما جعل اسماعيل النوبختي[١٥] عند اختيار خليفة بعد مقتل المقتدر يقول . « بعد الكد استرحنا من خليفة له ام وخالة وخدم يديرونه فتعود الى تلك الحال لا والله لا نرضى الا برجل كامل يدبر نفسه ويدبرنا » .

هذا وسنورد بعض الحوادث السياسية والتى ساهمت فيها السيدة مساهمة كبيرة وفعالة . فمنذ بداية تسلم المقتدر الخلافة قامت السيدة بانشاء ديوان خاص بها يقوم بأموره كاتب يجرى مجرى الوزير ، وأول كاتب

---

(١١) الاوراق ــ ص ٥ــ٦ .
(١٢) ابن الجوزى ــ المنتظم حـ ٦ ص ١٤٨ .
(١٣) السيوطى ــ تاريخ الخلفاء ص ١٥٣ .
(١٤) ابن الجوزى ــ المنتظم حـ ٦ ص ٢٣٣ .
(١٥) ابن العبرى ــ تاريخ مختصر الدول ص ٢٧٥ــ٢٧٦ .

ولته ديوانها أحمد ابن العباس بن الحسن ، وجعلت لنفسها قهرمانة اى حاكمة[١٦] • تقوم بتنفيذ مطاليبها وتتعاون معها[١٧] • وقد لعبت هاتان الامرأتان دورا هاما فى سياسة الدولة وحياة الخليفة المقتدر ، فقد كان للسيدة ـ كما ذكر الفخرى[١٨] ـ اليد الطولى فى ارجاع المقتدر للخلافة بعد عزله للمرة الاولى سنة « ٢٩٦ » وكذلك فعلت فى المرة الثانية سنة « ٣١٧ » • ونتيجة لتلك المواقف أخذ أمر السيدة يتعاظم فى الدولة وكذلك أمر ابن أخيها هارون ابن غريب الذى جعلته من أعاظم قواد الدولة العباسية[١٩] • هذا ولم ينحصر تدخل السيدة لشئون ابنها الخليفة فقط بل تعداه الى تعيين الوزراء والكتاب والقواد وعزلهم وحبسهم ومصادرة املاكهم واموالهم والفتك بهم • فالوزير المصلح علي بن عيسى الذى يعتبر من أعف وأثقف وزراء المقتدر كانت السبب في عزله عن الوزارة بتعاونها مع قهرمانتها • ففى سنة ٣١٦ ارسلت السيدة قهرمانتها ام موسى الهاشمية الى الوزير علي بن عيسى لتتفق معه على ما يحتاج حرم الدار والحاشية فى عيد الاضحى من الكسوات والنفقات ، فوصلت اليه وهو نائم فقال لها أنصاحبه انهنائم ولا أجسر أنأوقضه فأجلسي فيالدار ساعة فنقلت القهرمانة ام موسى الخبر الى المقتدر وكانت امه جالسة معه فكانت تلك الحادثة سببا فى عزل الوزير وحبسه واعتبر ذلك ضربة للوزير وللوزارة نفسها[٢٠] • كما جاءت بالوزير ابن الفرات الى الوزارة ثلاث مرات وفى كل مرة يتعرض للحبس والمصادرة بعد عزله • وكذلك سعت لاستيزار « أبى علي

---

(١٦) مصطفى جواد ـ سيدات البلاط العباسى ص ٨٩ •
(١٧) المقصود بها ام موسى الهاشمية •
(١٨) الآداب السلطانية ص ١٩٥ •
(١٩) الآداب السلطانية ص ١٩٥ •
(٢٠) ابن الاثير ـ الكامل فى التاريخ حـ ٦ ص ١٥٤ •
مسكويه ـ تجارب الامم حـ ١ ص ٤٠ •

محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان »[٢١] وكان قد ضمن لها مائة ألف دينار فعملت على توليته بعد اخراج علي بن محمد بن الفرات من الوزارة وحبسه ونهب داره ودور أهله • أما اخراجها للوزير العباسي احمد الخطيب مع كونه عفيفا ورعا فقد كان دليلا قاطعا على تهورها مدفوعة بنزواتها ورغباتها الشخصية مع العلم كان الخطيب كاتبها قبل الوزارة فعزلته وقبضت امواله[٢٢] •

والمعروف عن المقتدر أنه شديد الاستماع والاحترام الى امه فمن شدة احترامه لها كان اذا دخلت امه عليه ورآها يقوم لها ويعانقها ويقبل رأسها ويجلسها معه على دسته[٢٣] • وكذلك كان يأخذ بمشورتها في الامور السياسية • فالسيدة حذرت ابنها يوما من الوزير ابن الفرات قائلة له « أبعد ابن الفرات مؤنسا عنك وهو سيفك وثقتك ويريد الان أن ينكب حاجبك للتمكين منك فيجازيك على ما عاملته من ازالة نعمة وهتك حرمة فليت شعرى بمن يستعين عليه من اراد بك مكروها »[٢٤] • كما كانت السبب في اشعال الفتنة بين ابنها المقتدر ومؤنس المظفر قائد الجيوش بعد أن كان الثاني من أشد الناس اخلاصا لسيده الخليفة المقتدر • ففي سنة ٣١٦ حاولت أن تفتك بمؤنس فاتصل به انها وضعت له جماعة ليفتكو به اذا دخل دار الخلافة فاستوحش المظفر واحترس وطلب من الخليفة الخروج الى الثغور وترك الاقامة ببغداد فأذن له الخليفة ولكن حالت بينه وبين ذلك الحوادث فتغير قلبه حتى بلغ به التغيير ان حارب الخليفة وقتله سنة ٣٢٠[٢٥] •

---

(٢١) ابن الجوزى ــ المنتظم حـ ٦ ص ١٠٩ •
(٢٢) الفخرى ــ الآداب السلطانية ص ١٤٣ •
(٢٣) ابن الجوزى ــ المنتظم حـ ٦ ص ٧٥ •
(٢٤) ابن الاثير الكامل حـ ٦ ص ١٧٥ •
(٢٥) السيوطى تاريخ الخلفاء ص ١٥٥ •

عرفت السيدة بحبها للمال فاستعملته لتنفيذ اغراضها السياسية وقد جمعت مالا كثيرا من نقد ومجوهرات ورياش وملابس وغيرها فكانت لا تتوانى عن الحصول على المال حتى من مصادر غير شرعية • فهي التي طلبت من القاضي ابن بهلول ان يعطيها من اموال الوقف وكان مسئولا انذاك عن تلك الاموال فرفض بشدة [٢٦] • كما كان وزرائها وقوادها وكتابها معرضين لمصادرة اموالهم واملاكهم متى ما انحرفت عنهم فتستولى عليها لابسط الامور ، وعلى سبيل المثال استولت على أموال كاتبها محمد بن عبدالحميد بعد وفاته لكونه رفض استلام منصب الوزارة وكان المبلغ مائة الف[٢٧] دينار واستكتبت من بعده « احمد بن عبدالله بن احمد الخطيب » •

وكانت السيدة لا تتردد في الحصول على الاموال عن طريق الرشوة عند تعيين الوزراء مثلما فعلت عند ارجاع ابن الفرات ثلاث مرات للوزارة • واستوزرت في سنة ٣٠١ أبو علي بن خاقان وكان قد ضمن لها مائة الف دينار بعد عزل ابن الفرات[٢٨] هذا ومن كثرة ما جمعت من أموال فقد أصبحت موضع اعتماد الدولة عليها عند الحاجة ففي سنة (٣٠٧) طلب الوزير علي بن عيسى من المقتدر أن يخاطب السيدة ان كان عندها مال قد ذخرته لشدة فهذا وقت اخراجه فدخل الى والدته وعاد فأخبر ان السيدة ابتدأته بالبذل وامرت باخراج خمسمائة الف دينار لتنفق على حرب القرامطة[٢٩] • وكذلك في سنة ٢٩٦ استعملت الاموال في تشتيت شمل المعتز عند تسلمه الخلافة • وأرجعت ابنها المقتدر اليها بعد يومين فقط[٣٠]

---

(٢٦) ابن الجوزى المنتظم حـ ٦ ص ٢٣٣ •
(٢٧) ابن الاثير الكامل حـ ٦ ص ١٦٥ •
(٢٨) ابن الجوزى المنتظم حـ ٦ ص ١٠٩ •
(٢٩) ابن الجوزى ـ المنتظم حـ ٦ ص ٢٠٩ •
(٣٠) الفخرى ـ الآداب السلطانية ص ١٩٥ •

وبالرغم من انفاقها اموالا كثيرة على الاعمال الخيرية فهناك حوادث مفجعة كان المال الذى جمعته سببا مباشرا فى حدوثها فقد كان الجند دائما فى ثورة على السيدة وابنها الخليفة مطالبين بالارزاق فيذكر المؤرخ ابو الفدا « الجند والقواد انكروا على المقتدر من استيلاء النساء والخدم على الامور ، وكثرة ما أخذوا من الاموال »(٣١) .

ويبدو لى مما تقدم ان هذه السيدة حينما كانت تمنح المال وتمنعه فانما كان ذلك يتم من جانبها على أساس السلطة التى تباشرها ومدى قوتها فى الحكم ومن هنا نجدها فى بعض الاحيان لا تعطى المال اذا أحسست أن ذلك لا يخدم رغباتها فى احكام سيطرتها على الدولة والحصول على مزيد من الاموال وهذا ما فعلته حين أحدق الخطر بابنها المقتدر حيث ثار عليه القائد مؤنس فجاء الى امه السيدة يطلب المال وقال « قد ترين ما وقعت فيه وليس معى دينار ولا درهم ولابد من مال يكون معى فاعينينى بما معك من المال ، فقالت له : قد اخذت منى يوم سار القرمطى الى بغداد ثلاثة الاف الف دينار وما بقيت لي بعدها ذخيرة الا ما ترى ، واحضرت له خمسين الف دينار فقال المقتدر : « واى شىء تغنى عنى هذه الدنانير واى مقام تقوم لى هذه الخمسون الفا فى عظيم ما استقبله » ثم قال لها « أما أنا فخارج كيف كنت وعلى ما استطعت ولعلى أقتل واستريح ، ولكن الشأن فيمن يبقى بعد » (٣٢) . وكان لسوء تصرفها هذه قد عرضت ابنها للقتل بالصورة الشنيعة التى يصفها المؤرخون . كما كان حرصها للمال سببا فى تعرضها للتعذيب والاهانة من الخليفة القاهر الذى أراد ان يثأر لنفسه بعدما حدث له منها سنة (٣١٧)عند خلعه وارجاع المقتدر للخلافة . فضر بها اشد ما يكون وعلقها من رجلها على ان تعترف بما لديها من المال والمصوغ والثياب

---

(٣١) أبو الفدا ــ المختصر فى اخبار البشر حـ ٢ ص ٧٤ .

(٣٢) ابن الاثير ــ الكامل حـ ٦ ص ١٧٣ .

ولكنها لم تعترف بشيء[٣٣] • ثم أحضرها القاهر بعد ذلك لتشهد على نفسها القضاة والعدول بانها قد حلت أوقافها ووكلت بيعها فامتنعت من ذلك وقالت: لقد أوقفتها على ابواب البر بمكة والمدينة والثغور وعلى الضعفاء والمساكين ولا استعمل حلها ولا بيعها وأنا أوكل على بيع املاكى ولما علم القاهر بذلك أحضر القاضى والعدول واشهدهم على نفسه أنه قد حل جميعها ووكل فى بيعها فبيع ذلك جميعه مع غيره[٣٤] • ثم توفيت بعد فترة قصيرة حيث كانت فى دار ام القاهر •

وبهذه الصورة انتهت حياة السيدة ام المقتدر وهى من كبريات نساء بنى العباس فى العصر الثانى والتى انفردت بنفوذها الواسع وسطوتها لاطول فترة عرفتها المرأة العباسية والتى قاربت الثلاثين سنة خلال الحكم العباسى •

السيدة قبيحـه

تعتبر السيدة قبيحة المرأة السياسية الثانية بعد السيدة ام المقتدر مـن حيث قيامها بأدوار هامة فى سياسة الدولة • فهى صاحبة المتوكل على الله وام الخليفة « المعتز بالله » جارية رومية رائعة الجمال ، فائقة الملاحة • سميت قبيحة كما يسمى العبد الاسود بكافور ، على تسمية الشىء بضـده[٣٥] • وكان المتوكل يفضلها عن بقية جواريه فازداد نفوذها واصبحت سيدة شهيرة فى البلاط العباسى بسامراء العاصمة التى كانت تعتبر آنذاك من مـراكز العلم والثقافة ومقرا للاحزاب السياسية والقيادة العسكرية • وخلال عصر المتوكل وأبنه الخليفة المعتز كان لقبيحة دور هام واساسى فى توجيه سياسة الدولة وعلى حياة الخلفاء الذين عاصرتهم وهم (المتوكل ، المنتصر ، المستعين والمعتز) وكانت تستأثر بحب المتوكل لها فتنفذ رغباتهـا التى كانت منحصرة

---

(٣٣) ابن الجوزى ـ المنتظم حـ ٦ ص ٢٣٣ •
(٣٤) ابن الاثير ـ الكامل حـ ٦ ص ٢٢٣ •
(٣٥) مصطفى جواد ـ سيدات البلاط العباسى ص ٧٠ •

فى ناحيتين اولهما : سوق الخلافة لابنها المعتز • وثانيهما : حصولها على اموال الدولة بقدر الامكان وفى كلتا الحالتين سببت مشاكل ومتاعب كثيرة الى الدولة وللخلفاء • ففى الحالة الاولى دفعت قبيحة بالمتوكل الى سوق الخلافة لابنها المعتز فجعلته يقسم الدولة بين اولاده الثلاثة ، ونضم ولاية العهد بينهم فعقد لكل واحد منهم لوائين لواء العهد ولواء العمل سنة (٢٣٥)[٣٦] ثم أضاف للمعتز خزائن بيوت الاموال فى جميع الآفاق ، ودور الضرب ، وأمر بضرب اسم المعتز على الدراهم[٣٧] • وكان لا يزال المعتز صغير السن وكل ذلك كان بتأثير قبيحة والتى دفعت المتوكل ايضا ان يسأل المنتصر أن ينزل عن العهد فأبى ثم كان المتوكل يحضره مجلس العامة ويحط من كرامته فيشتمه ويتوعده فكان سبب اشتراك المنتصر مع الاتراك على قتل ابيه سنة (٢٤٧)[٣٨] •

وفى خلافة المستعين تدخلت أم المعتز مرة اخرى فى سياسة الدولة فأرادت ابعاد المستعين وجعل ابنها ابى عبدالله المعتز الذى خلع منها فى عهد أخيه وبعد حدوث اضطرابات وحروب اهلية أصابت كلا من بغداد وفيها المستعين وسامراء وفيها المعتز أجبر الاول على خلع نفسه وجى بالثانى خليفة للدولة العباسية • ثم ما لبث ان حدثت مشادة بينه وبين الاتراك وكانت اليهم أمور الدولة فأخذت قبيحة تحرض ابنها ليتخلص من الاتراك فقالت له « يا بنى اقتلهم فى كل مكان » واخرجت اليه قميص أبيه المتوكل مغضبا بدمائه فقال لها : « ارفعيه والا صار القميص قميصين وخشى أن يقتلوه كأبيه المتوكل »[٣٩] •

---

(٣٦) الدورى ـ العصور العباسية المتأخرة ص ٥٠ •
(٣٧) الطبرى ـ تاريخ الرسل والملوك حـ ١١ ص ٣٨ •
(٣٨) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص ١٤٠ •
(٣٩) مصطفى جواد ـ شهيرات البلاط العباسى ص ٧٦ •

أما خاتمة حياتها السياسية فهى رفضها دفع اموال الى الاتراك حينما طلب المعتز منها مالا لينفقه فيهم فأبت عليه وشتمت نفسها ولم يكن بقى فى بيوت المال شيء فاجتمع الاتراك حينئذ على خلعه ، فضربوه بالدبابيس وأقاموه في الشمس في يوم صائف وهم يلطمون وجهه ويقولون له اخلع نفسك ثم قتلوه[(٤٠)] • وهى نفس المرأة التى عرفت بقساوة القلب حينما جيء برأس المستعين بعد مقتله الى المعز أمرت ان يدخل به على الجواري ويوضع بين يدى جارية المستعين المغنية وكانت شديدة الاخلاص والحب لسيدها ، فلما شاهدته صرخت وفزعت فأخفت قبيحة تشمتها ثم نزلت بها ضربا على رأسها بالعود[(٤١)] • وهذا يدل على شراستها وقباحة اخلاقها •

انتهت حياة ام المعتز بعد سنوات من مقتل ابنها وكان ذلك سنة (٢٦٤)[(٤٢)] بعد أن لاقت متاعب كثيرة خاصة من الاتراك •

القهرمانات

هن جوارى سبق وان عشن فى دار الخلافة لفترة من الزمن وساهمن فى أعمال مهمة حتى بلغن مرتبة عالية لدى امهات وزوجات الخلفاء واصبحت لهن حضوة فى دار الخلافة ودور ملحوظ فى تصريف شئون الدولة العباسية والتدخل فى كبريات المسائل • ومن بين القهرمانات البارزات فى الناحية السياسية فى تلك الحقبة هن ام موسى الهاشمية وزيدان ونظم وحسن الشيرازية ونمل •

أم موسى الهاشمية :ـ

أصبحت ام موسى قهرمانة لام المقتدر (السيدة) فى سنة ٢٩٩ بعد

---

(٤٠) السيوطى ـ تاريخ الخلفاء ص ١٤٤ •
(٤١) مصطفى جواد ـ شهيرات البلاط العباسى ص ٧٧ •
(٤٢) مصطفى جواد ـ شهيرات البلاط العباسى ص ٨١ •

غرق قهرمانتها فاطمة في النهر في يـوم عاصف ، فكانت ام موسى تؤدي رسالة السيدة والمقتدر للوزير ابن الفرات[٤٣] • وكان لها نفوذ واسـع على السيدة ورجالات الدولة • وعلى رأسهم الخليفة المقتدر والوزراء لذا كانت كثيرة التدخل في سياسة الدولة فكثيرا ما تتعرض للوزراء وتأمرهم بتنفيذ بعض المطالب فاذا اختلفت معهم فقد يفضي ذلك الى عزلهم وحبسـهم ومصادرة أملاكهم كما حدث للوزير على بن موسى عندما نشبت بينها وبينه نفرة شديدة فامتنع عن كلامه فقبض عليه وعلى انسابه وأخرج ابو الحسن على بن محمد من الفرات من السجن وقلد الوزارة وخلع عليه سبع خلع مع كثير من المتاع والرياش والخدم[٤٤] • وكان ذلك كله بفضل رضـا القهرمانة ام موسى عليه •

هذا ويمضي التدخل بها في شؤون الدولة الى السعي ثانية في ابعـاد ابن الفرات عن الوزارة واحلال وزير جديد « ابو عـلى بن عبيد الله بن خاقان سنة ٢٩٩ » •

ولم تقف تصرفاتها السياسية مع الوزراء فقط بل تعداه الى التدخل في تعيين أمير للحج وكانت العادة جارية أن لا يحج بالناس رجل الا من طبقة الاشراف اما نقيب الطالبين او العباسيين فاسـتطاعت ان تسعى بهـذه الوظيفة الى أخيها احمد بن العباس •

وقد لا تستغرب من ذلك اذا عرفنا ان نفوذها كان على الخليفة نفسه فيذكر المؤرخ ابن الاثير ان ام موسى سعت لدى المقتدر بالتعاون مع احمد ابن عيسى من ابي البغل الذى تولى مناظرة ابن الفرات بدعوة أخيه وكان مقيما باصبهان فأذن المقتدر في حضوره فحضر وعندما سمع الخاقاني بذلك

---

(٤٣) مسكويه ـ تجارب الامم حـ ٢ ص ٢١ •
(٤٤) ابن الجوزى ـ المنتظم حـ ٦ ص ١٣٨ •

انحلت اموره فدخل على الخليفة واخبره بذلك فأمر بالقبض عليهما ثم خاف القهرمانة فاطلقهما واستعملهما[٤٥] .

ولم تكن ام موسى مثل بقية القهرمانات حشمة وعظمة فكانت اذا سارت تسير فى موكب عظيم والفرسان والرجالة بين يديها[٤٦] وهذا يدل على علو منزلتها لدى الخليفة والسيدة امه .

ولكن بالرغم من سعة نفوذها وتغلغلها فى مختلف مراتب الدولة فاننا نجد انها لم تفلت من يد السلطة ، فقد تعرضت الى السجن والتعذيب كما تعرض قبلها امهات وزوجات خلفاء . واخيراً قبض عليها وكان سبب ذلك انها زوجت ابنة اخيها من أبي العباس احمد بن محمد بن اسحاق بن المتوكل على الله . وبهذا العمل جعلت السيدة تعتقد بانها تسعى من وراء ذلك أن تجعل أبا العباس زوج ابنة اختها خليفة وقالت لها السيدة « قد دبرت علي ولدي وصاهرت ابن المتوكل حتى تقعديه في الخلافة » . فسلمتها الى القهرمانة ثمل ومعها اخوها واختها وكانت ثمل مشهورة بقساوة القلب شرسة الاخلاق فبسطت عليهم العذاب واستخرجت منهم الاموال والجواهر التي سبق ان حصلت عليها أثناء زواج ابنة اختها[٤٧] . وبعد موت اختها ردّ اليها ما صودر منها من دور وضياع واخرجت من السجن بأمر المقتدر والسيدة امه .

(٢) حسن الشيرازية :ـ

أصبحت قهرمانة المستكفي بعد أن جاءت به الى الخلافة وأطلق عليها اسم « علم »[٤٨] . وكانت تختلف عن بقية القهرمانات اذ كانت أشد قسوة.

---

(٤٥) ابن الاثير الكامل حـ ٦ ص ١٣٩ .
(٤٦) ابن الاثير الكامل حـ ٦ ص ١٦٦ .
(٤٧) ابن الاثير الكامل حـ ٦ ص ١٧٢ .
(٤٨) مسكويه تجارب الامم حـ ٢ ص ٧٢ .
ابن العبرى تاريخ مختصر الدول ص ١٨٩ .

وشراسة منهن • وقد انفردت بكونها استطاعت ان تجيء بالمستكفى الى الخلافة بعد أن قامت بدورين هامين لم يسبقها او يأتي بعدها من القهرمانات من استطاعت ان تفعل ذلك • الدور الاول قامت بتوصيل أخبار عن المستكفي للقائد توزون الذى كان صاحب الامر والنهي فى الدولة العباسية فيذكر أحد خواص هذا القائد أنه سمع ان امرأة ذكرت خواص وفوائد المستكفي ، وذكرت عقله وفضله وفوائده للخلافة[٤٩] • فسمع بذلك توزون وقلده الخلافة وصارت تلك المرأة قهرمانة للمستكفي •

اما الدور الثاني انها استطاعت ان تبث دعاية مشوشة حول الخليفة المتقى وتخيف الاتراك منه بقولها « انه عاداكم وعاديتموه وكاشفكم ولا يصفو قلبه لكم •• الخ[٥٠] » وحذرتهم من التخلص منه • ولم تكتف حسن القهرمانة بذلك بل اشرفت بنفسها مع غلامها السندى على سمل عيون الخليفة المتقى لتسقط حقه من الخلافة بفقدانه أحد حواسه الخمسة كما جرت الاحكام بذلك • ولم تعلم انها قد أدت بهذا العمل الى سوق المستكفى الى سمل عينيه بعد سنة واربعة أشهر من خلافته • وكان الخليفة القاهر سبق وان قال عندما سمع بسمل عيون المتقى هذا الثاني ولا بد من ثالث[٥١] وكان القاهر اول خليفة تسمل عيناه •

وهناك عدد آخر من القهرمانات ادوارهن أقل أهمية من ام موسى الهاشمية وحسن الشيرازية ومن بينهن زيدان القهرمانة ونظم وثمل • فالاولى عاصرت السيدة وكانت وصيفتها المقربة لها ، تشرف على حبس رجالات الدولة • ففي سنة ٣١١ سُلم الى زيدان القهرمانة الوزير على بن عيسى

---

(٤٩) ابن العبرى ــ تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٩ •

(٥٠) ابن العبرى ــ تاريخ مختصر الدول ص ٢٨٩ •

(٥١) ابن الاثير ــ الكامل حـ ٦ ص ٣٠٢ •

ووضعته في الحجرة (السجن) التي كان الــوزير السابق ابن الفرات محبوسا فيها[٥٢] . كما اشرفت على حبس ابى العباس الخصيبى وابنه بعد عزلهما[٥٣] .

اما الثانية نظم فقد كانت من قهرمانات السيدة ايضا خدمتها لفترة ثم صارت احد قهرماناتها التي يجري عـلى يديها الصغير والكبير . فهى التى سعت بأبي القاسم وجعلته مقربا من السيدة فقام بخدمتها واصبحت حياتـه في نعيم ويسر بعد ان كان فى عســر وشدة ، وبلغ من عطف السيدة لابي القاسم ان اهدته فى حفلة ختان ابنه هدايا لم يسمع بمثلها قبلا[٥٤] .

اما الثالثة قد سبق وان ذكرناها فى مكانين فيما تقدم[٥٥] .

---

(٥٢) ابن الاثير ــ الكامل حـ ٦ ص ١٧٣ .
(٥٣) ابن الاثير ــ الكامل حـ ٦ ص ١٨٥ .
(٥٤) ابن الجوزى ــ المنتظم حـ ٦ ص ٧٤ .
(٥٥) انظر ص ٧٣٢ ــ ٧٤١ .